

الفصل الثاني

المبحث الأول

نظرة عامة عن التشبيه

١. مفهوم التشبيه وأركانه

لغة هو التمثيل، يقال: هذا مثل هذا وشبهه. أما في الإصطلاح هو عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر وإرادة اشتراكهما في صفة أو أكثر بإحدى أدوات التشبيه، نحو: خالد كالأسد في الإقدام. التشبيه هو اشتراك شيئين في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها، ملفوظة أو ملحوظة.^٥

التشبيه في الكتاب البلاغة في العلم البيان: هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في صفة أو أكثر بإحدى أدوات التشبيه الملحوظة؛ وهو عبارة عن فنّ تصيريّ يقصد به البيان وتقريب الشيء إلى الأفهام.^٦

دلالة على اشتراك # أمرين في معنى بألة أتاك

أركانه أربعة وجه أداة # وطرفاه فاتبع سبل النجاة.^٧

^٥ file:///C:/Users/user/Downloads/showthread.php.htm

^٦ البلاغة في العلم البيان (معهد دار السلام كوتنور للتربية الإسلامية الحديثة ٢٠٠٦م) ص. ٣٣

^٧ عبد الرحمن بن محمد الأحضري الجوهري المكنون (مدرسة هداية المتدئين بالمعهد الإسلامي ليربايا قديري) ص. ٧٨.

التشبيه في الكتاب البلاغة الواضحة: بيان أنّ شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها مافوظة أو ملحوظة.^٨

التشبيه في الكتاب الجواهر البلاغة:

أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى-وهو في اللغة التمثيل- وعند علماء البيان _ مشاركة أمر لأمر في معنى.^٩

وعند العلماء البيان التشبيه هو مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة.^{١٠} وقال الخطيب القزويني: التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى.^{١١} التشبيه هو الحاق أمر بأمر في معنى بأداة.^{١٢}

وبعد أن نظرت الباحثة تعريفات متنوعة عن البلغاء قد عرف أن التشبيه هو عبارة عن اشتراك أمرين في معنى بالة التشبيه.

^٨ علي الجارم و مصطفى أمين البلاغة الواضحة (المكتبة الإرشاد ٢٠١٠م) ص. ١٧.

^٩ أحمد الهاشمي جواهر البلاغة (مكتبة: الهداية: سوريا) ص ٢٠٠

^{١٠} السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، مجل سنة. ص: ٢٠٠

^{١١} السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، مجل سنة. ص: ٢٠٠-٢٠١

^{١٢} الخطيب القزويني الإيضاح في علوم البلاغة. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، مجل سنة. ص: ٢١٧

٢. أركان التشبيه

وبناء على التعريفات السابقة فالتشبيه أربعة أركان:^{١٣}

أ. المشبهُ

هو الأمر الذى يراد إلحاقه بغيره

ب. المشبَّه به

هو الأمر الذى يلحق به المشبه

ج. وجهُ الشبهِ.

هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون فى المشبه به، أقوى منه فى المشبه وقد يذكر وجه الشبه فى الكلام وقد يحذف كما سيأتى توضيحه.

د. أداة التشبيه

هى اللفظ الذى يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تذكر الأداة فى التشبيه، وقد تحذف، نحو: كان عمر فى رعيته كالميزان فى العدل، وكان فيهم كالوالد فى الرحمة والعطف.

^{١٣} السيد أحمد الهاشمى، جواهر البلاغة. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، مجل سنة ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م. ص: ٢٤٧-٢٤٨

٣. أنواع التشبيه

تنقسم التشبيه إلى تسعة أنواع، فهو كما يلي:

أ. التشبيه مرسل. هو ما ذكرت فيه الأداة.^{١٤}

نحو: أنا كالماء إن رضيت صفاء وإذا ما سخطت كنت لهيبا

{ في هذه الجملة المشبهة هو أنا والمشبهة به هو الماء ولهيبا والكاف أداة التشبيه وهي مذكورة. }

ب. التشبيه بليغ. هو ما حذفته منه الأداة ووجه الشبه.^{١٥}

نحو: إذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب

{ في هذه الجملة كل الذي فوق التراب هو المشبه وتراب هو المشبه به وكان في هذه التشبيه حذفته منه الأداة ووجه الشبه. }

ج. التشبيه مؤكّد. هو ما حذفته منه الأداة.^{١٦}

نحو: العالم سراج امنه في الهاية وتبديد الظلام

{ في هذه الجملة العالم هو المشبه وسراج هو المشبه به في الهداية وتبديد الظلام هو وجه الشبه وحذفت الأداة. }

^{١٤} على الجارمي ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، ١٩٦١. ص: ٢٥

^{١٥} على الجارمي ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، ١٩٦١. ص: ٢٥

^{١٦} على الجارمي ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، ١٩٦١. ص: ٢٥

د. التشبيه مجمل. هو ما حذف منه وجه الشبه.^{١٧}

نحو: كأنه النهار الزاهر والقمر الباهر الذي لا يخفى على كل ناظر.

{ في هذه الجملة الضمير "ه" في كأنه مشبه والقمر الباهرة مشبه به وهذا التشبيه لم يذكر فيه وجه الشبه }.

ه. التشبيه المفصل. هو ما ذكر فيه وجه الشبه.^{١٨}

نحو: زرنا حديقة كأنها الفردوس في الجمال والبهاء

{ في هذه الجملة الضمير كأنها عائد إلى حديقة وهي المشبه والفردوس هو المشبه به ثم ذكر وجه الشبه وهو في الجمال والبهاء }.

و. التشبيه التمثيل. هو إذا كان وجه الشبه فيه صورة متزعة من متعدد.^{١٩}

نحو: كقوله الشاعر: ولاحت الشمس تحكى عند مطلعها مرارة تير بدت في كف مرتعش

(في هذه الجملة ، فمثل الشمس حين تطلع حمراء لامعة مضطربة، بمرارة من ذهب تضطرب في كف ترتعش)

وتشبيه التمثيل نوعان:

^{١٧} على الجارمى ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، ١٩٦١. ص: ٢٥

^{١٨} على الجارمى ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، ١٩٦١. ص: ٢٥

^{١٩} على الجارمى ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، ١٩٦١. ص: ٣٥

الأول: ما كان ظاهر الأداة، نحو: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) فالمشبه: هم الذين حملوا التوراة ولم يعقلوا ما بها: والمشبه به (الحمار) الذى يحمل الكتب النافعة، دون استفادته منها، والأداة الكاف، ووجه الشبه: (الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة)

الثاني: ما كان خفى الأداة: كقولك للذى يتردد في الشئ يسن أن يفعله، وألا يفعله (أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى) - إذ الأصل: أراك في ترددك مثل من يقدم رجلا مرة، ثم يؤخرها مرة أخرى.

فالأداة محذوفة، ووجه الشبه هيئة الإقدام والإحجام المصحو بين بالشك.^{٢٠}

ز. التشبيه غير التمثيل. هو إذا لم يكن وجه الشبه فيه صورة متزعة من متعدد.^{٢١}

نحو: قول المتنبي في الرثاء: وما الموت الاسارق ذق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

{ في هذه الجملة الموت هو المشبه واللص الخفى الاعضاء هو المشبه به والخفاء وعدم الظهور هو وجه الشبه }

^{٢٠} لسيد أحمد الهاشمى، جواهر البلاغة. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، مجل سنة ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م. ص: ٢٦٥
^{٢١} على الجارمى ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، ١٩٦١. ص: ٢٥

ح. التشبيه الضمني. هو التشبيه لا يوضع فيه المشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب.^{٢٢}

نحو: كقول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه # ما لجرم بميت إيلام (أي إن الذي اعتاد الهوان، يسهل عليه تحمله، ولا يتألم له، وليس هذا الادعاء باطلا، لأن الميت إذا جرح لا يتألم). وفي ذلك تلميح بالتشبيه في غير صراحة، وليس على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل إنه (تشابه) يقتضى التساوى، وأما (التشبيه) فيقتضى التفاوت.^{٢٣}

ه. التشبيه المقلوب. هو جعل المشبه مشبها به بالدعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر في المشبه.

نحو: كأنها حين لجت في تد فقها # يد الخليفة لما سال واديتها

(وهذا التسيبه مظهر من مظاهر الافتتان والإبداع، كقول حكاية عن الكاف (إنما البيع مثل الربا) في مقام أن الربا عندهم أحل من البيع، لأن الغرض الريح وهو أثبت وجودا في الربا منه في البيع، فيكون أحق بالحل عندهم.^{٢٤}

^{٢٢} على الجارمى ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، ١٩٦١. ص: ٢٥
^{٢٣} لسيد أحمد الهاشمى، جواهر البلاغة. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، مجل سنة ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م. ص: ٢٧٤
^{٢٤} على الجارمى ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، ١٩٦١. ص: ٦٠

٤. فوائد التشبيه

فوائد التشبيه تعود "في أكثر المواضع" الى مشبه _ وهي إما:^{٢٥}

١. بيان حاله- وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التشبيه

فيفيده التشبيه الوصف- كقول الشاعر:

٢.

إذا قامت لحاجتها تشّتت # كأنّ عظامها من خيزران

(شبه عظامها بالخيزران بيانا لما فيها من اللين)

٣. أو بيان إمكان حاله- وذلك حين يسند اليه أمر مستعرب لاتزول غرابته

الّا بذكر شبيه له- كقوله:

ويله إن نظرت وان هي أعرضت # وقع السهام ونزعهنّ أليم

(شبه نظرها بوقع السهام، وإعراضها بتزعها: بيانا لإمكان إيلاهما بهما

جميعا)

٤. أو بيان مقدار حال المشبة في القوة الضعف وذلك إذا كان المشبه معلوما

معروف الصفة التي يراد إثباتها له معرفة إجمالية قبل المتشبه بحيث يراد من

ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة وذلك بأن يعتمد

المتكلم لأن يبين للسامع ما يعينه من هذا المقدار مثل قوله:

كأنّ مشيتها من بيت جارقتها # مر السحابة لاريث ولا عجل

^{٢٥} السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة. بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، مجل سنة.ص: ٢٧١

وكتشبيهه : الماء بالثلج، في شدة البرودة. ومثل قوله:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة # سودا كخافية الغراب الأسحم

شبه النياق السود، بخافية الغراب، بيانا لمقدار سوادها، فالساد صفة مشتركة بين الطرفين.

٥. أو تقرير حال المشبه، وتمكينه في ذهن السامع، بأبرازها فيما هي فيه أظهر، كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح فتأتي بمشبهه حسى قريب التصوير، بزيد معنى المشبه إيضاحا لما في المشبه به من قوة الظهور والتمام، نحو: هل دولة الحسن إلا كدولة الزهر، وهل عمر الصبا إلا أصيل أو سحر، ومثل قوله:

إن القلوب إذا تنافر ودها # مثل الزجاجاة كسرهما لا يجبر

(شبه تنافر القلوب بكثرة الزجاجاة تشبيها لتعذر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأانس والمودة).

٦. أغراض التشبيه

أغراض التشبيه كثيرة، منها ما يأتي:^{٢٦}

أ. بيان إمكان المشبه: وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له.

المثال: قال البحترى:

دان إلى أيدي العفاة وشاسع # عن كل ندّ في الندى وضريب

كالبدرفرط في العلوّ وضوؤه # للعصبة السارين جدّ قريب

^{٢٦} على الجارمى ومصطفى امين، البلاغة الواضحة. سورابايا: توكو كتاب الهداية، سنة: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م. ص: ٤٦

ب). بيان حاله: وذلك حينما يكون المشبه غير معروف الصفة قبل التسيبه فيفيده التشبيه الوصف.

المثال: وقال النابغة الذبياني:

كأنك شمس والملوك كواكب # إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب

ح). بيان مقدار حاله: وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة.

المثال، وقال المتنبي في وصف أسد:

ما قوبلت عيناه إلاّ ظنّتا # تحت الدّجى نار الفريق حلولا

د). تقرير حاله: كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التثبيت والإيضاح بالمثال.

المثال، وقال تعالى:

والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلاّ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه.

ه). تزيين المشبه أو تقييحه

المثال، وقال أبو الحسن الأنباري في مصلوب:

مددت يديك نحوهم احتفاء # كمدّهما إليهم بالهبات

وقال أعرابي في ذم امرأة:

وتفتح - لا كانت - فما لو رأيت # توهمته بابا من النار يفتح

المبحث الثاني

١. موقع التشبيه في سورة البقرة

أ. التشبيه تمثيلي في سورة البقرة

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا

أي مثالهم في نفاقهم وحالهم العجيبة فيه، كحال شخص أو قد نار ليستدفيء بها ويستضيء، فما اتقدت حتى انطفأت، وتركته في ظلام دامس، وخوف شديد.^{٢٧} شبه في المثال المنافق بالمستوقد للنار، وإظهاره الإيمان بالإضاءة، وانقطاع انتفاعه بانتفاع النار، في العبارة (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً) "مثلهم" المشبه "كمثل" أداة التشبيه "الذي استوقد" مشبه به "نار" وجه الشبه أنواعه التشبيه التمثيلي.

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ

أي أو مثلهم في حيرتهم وترددهم كمثل قوم أصابهم مطر شديد، أظلمت له الأرض، وأرعدت له السماء، ومصحوب بالبرق والرعد والصواعق.^{٢٨} وفي هذا المثال شبه الإسلام بالمطر، لأن القلوب تحيا به كحياة الأرض بالماء، وشبه شبهات الكفار

^{٢٧} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م. ص: ٣٠

^{٢٨} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م. ص: ٣٠

بالظلمات، وما في القران من الوعد والوعيد بالرعد والبرق... إلخ، في العبارة (أو كصيب من السماء فيه ظلمت) "ك" أداة التشبيه "صيب" المشبه "من السماء" المشبه به "فيه الظلمت" ووجه الشبيه، وأنواعه التشبيه الثيلي.

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا أَي إِذَا فرغتم من أعمال الحج وانتهيتم منها فأكثروا ذكر، وبالغوا في ذلك كما كنتم تذكرون آباءكم، وتعدون مفاخرهم بل أشد، قال المفسرون: كانوا يقفون بمعنى بين المسجد والجبل بعد قضاء المناسك، فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن.^{٢٩}

ب. التشبيه مرسل مفصل في سورة البقرة

الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ آبْنَاءَهُمْ الَّتِي كَتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ

أي يعرفون محمدا معرفة واضحة كعرفة آبائهم الذين من أصلابهم.^{٣٠} أي يعرفون محمدا معرفة لا امتراء فيها، كما يعرف الواحد منهم ولده، معرفة يقين.^{٣١} في هذه العبارة (الذين ءاتينهم الكتب يعرفونه كما يعرفون آبائهم) "الذين ءاتينهم الكتب" المشبه "يعرفونه" المشبه به "كما" أداة التشبيه "يعرفون آبائهم" وجه الشبه أنواع من التشبيه مرسل مفصل.

^{٢٩} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م.ص: ١٢٠

^{٣٠} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م.ص: ٨٨

^{٣١} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م.ص: ٨٩

ج. التشبيه مرسل مجمل في سورة البقرة

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ أَيَّ يَعْظُمُونَهُمْ وَيَخْضَعُونَ لَهُمْ كَحُبِّ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ. ^{٣٢} وحيث ذكرت الأداة وحذف وجه الشبه. ^{٣٣} "يحبونهم" المشبه "ك" أداة التشبيه، وأنواعه من التشبيه مرسل مجمل.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(الصِّيَامُ عَلَيْكُمْ كُتِبَ) أي فرض عليكم صيام شهر رمضان، أما

الَّذِينَ عَلَى كُتِبَ كَمَا) أي كما فرض على الأمم قبلكم. ^{٣٤} التشبيه في الفريضة لا في الكيفية أي فرض الصيام عليكم كما فرض على الأمم قبلكم، "كتب عليكم الصيام" المشبه "كما" أداة التشبيه "كتب على الذين من قبلكم" المشبه به لعلكم تتقون" ووجه الشبه وأنواع من التشبيه مرسل مجمل.

الْآيَاتِ لَكُمْ اللَّهُ يُبَيِّنُ كَذَلِكَ أَي كما يبين لكم المنافع والمضار، والحلال والحرام. أداة التشبيه "كذلك" ووجه الشبه "يبين الله لكم الآيات وأنواع من التشبيه مرسل مجمل.

د. التشبيه بليغ في سورة البقرة

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ

^{٣٢} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م. ص: ٩٤
^{٣٣} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م. ص: ٩٥
^{٣٤} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م. ص: ١٠٢

أي يسألونك يا أيها الرسول عن إتيان النساء في حالة الحيض، أيجل أم يحرم؟ فقل لهم: إنه شيء ميثقذر، ومعاشرتهن في هذه الحالة فيه أذى للزوجين.^{٣٥} حيث جعله عين الأذى والضرر، فأصبح بليغا وأصله الحيض شيئاً مستقذر كالأذى فحذف ذلك مبالغة على حد قولهم: علي أسد.^{٣٦}

٢. مفهوم سورة البقرة

أ. بين يدي السورة

سورة البقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزل، وإياتها مائتان وست وثمانون آيات:

سورة البقرة أطول سور القرآن على الإطلاق، وهي من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع، شأنها كشأن سائر السور المدنية، التي تعالج النظم والقوانين التشريعية، التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية.^{٣٧}

قال ابن عباس: هي أول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله تعالى: (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) فإنها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل سبع وثمانون آية وستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف.^{٣٨}

^{٣٥} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م. ص: ١١٩

^{٣٦} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م. ص: ١٢٠

^{٣٧} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م. ص: ٢٢

^{٣٨} تفسير الخازن، الدار الكتب العلمية، بيروت-لبنان. سنة: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م. ص: ٢٢ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي

اشتملت هذه السورة الكريمة على معظم الأحكام التشريعية: في العقاعد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، وفي أمور الزوج، والطلاق، والعدة، وغيرها من الأحكام الشرعية.

وقد تناولت الايات في البدء الحديث عن (صفات المؤمنين)، و(الكافرين)، و(المنافقين)، فوضحت حقيقة الإيمان، وحقيقة الكفر والنفاق، للمقارنة بين أهل السعادة وأهل الشقاء.

ثم تحدثت عن بدء الخليقة فذكرت قصة أبي البشر "ادم" عليه السلام، وما جرى عند خلقه وتكوينه، من الأحداث والمفاجات العجيبة، التي تدل على تكريم الله جل وعلا للنوع البشري.

ثم تناولت السورة الحديث بالإسهاب عن أهل الكتاب، وبوجه خاص بني إسرائيل "اليهود" لأنهم كانوا مجاورين للمسلمين في المدينة المنورة، فنبهت المؤمنين إلى خبثهم ومكرهم، وما تنطوى عليه نفوسهم الشريرة من اللؤم، والغدر، والخيانة، ونقض العهود والمواثيق، إلى غير ما هنالك من القبائح والجرائم التي ارتكبتها هؤلاء المفسدون، مما يوضح عظيم خطرهم، وكبير ضررهم على البشرية، وقد تناول الحديث عنهم ما يزيد على نصف السورة الكريمة، بدءاً من قوله تعالى: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمي التي أنعمت عليكم) إلى قوله تعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمعن).

وأما بقية السورة الكريمة فقد تناولت جانب التشريع، لأن المسلمين كانوا في بداية تكوين (الدولة الإسلامية) وهم في أمس الحاجة إلى المنهاج

الرباني، والتشريع المساوي، الذي يسرون عليه في حياتهم، سواء ما كان منها في العبادات أو المعاملات، ولذا فإن جماع السورة يتناول الجانب التشريعي، وهو باختصار كما يلي:

"أحكام الصوم" مفصلة بعض التفصيل، أحكام الحج والعمرة، أحكام الجهاد في سبيل الله، شؤون الأسرة، وما يتعلق بها، من (الزواج، والطلاق، والرضاع، والعدة)، تحريم نكاح المشركات، والتحذير من معاشررة النساء في حالة الحيض، إلى غير ما هنالك من أحكام تتعلق بالأسرة، لأنها النواة الأولى للمجتمع الأكبر، وفي صلاح الأسرة، صلاح المجتمع!!

ثم تحدّث السورة الكريمة عن " جريمة الربا" التي تهدد كيان المجتمع وتقوض بنيانه، وحملت حملة عنيفة شديدة على المرابين، بإعلان الحرب السفارة من الله ورسوله، على كل من يتعامل بالربا أو يقدم عليه (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس لأموالكم لا تظلمون ولا تظلمون).

وأعقبت آيات الربا بالتحذير من ذلك اليوم الرهيب، الذي يجازى فيه الإنسان على عمله إن خيرا فخير، وإن شرا فشر (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وهي اخر ما نزل من القرآن الكريم، واخر وحي تنزل من السماء إلى الأرض، وبتزول هذه الآية

انقطع الوحي، وانتقل الرسول الأعظم إلى جوار ربه، بعد أن أدى الرسالة وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين!^{٣٩}

٣. أسباب النزول الآية في سورة البقرة.

ليس كلهم من الآية في تلك سورة، لكن بعضهم كما التالى:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾

سبب النزول: قال ابن عباس: نزلت هذه الآيات في المنافقين نت أمثال " عبد الله بن أبي ابن سلول، ومعتب بن قشير، والجد بن قيس " كانوا إذا لقوا المؤمنين يظهرهم الإيمان والتصديق ويقولون: إنا لنجد في كتابنا نعتة وصفته.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيَىٰ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۙ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٣٦﴾

سبب النزول: لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه العزيز، وضرب للمشركين به المثل، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، وما أراد بذكر هذه الأشياء الحسياسة؟ فأنزل الله الايات.

^{٣٩} لشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م. ص: ٢٣

﴿٤٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
 وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ
 أَنَّهُم مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
 أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ
 نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

سبب النزول: نزلت هذه الآية في بعض علماء اليهود، كانوا يقولون لأقربائهم الذين
 أسلموا: اثبتوا على دين محمد فإنه حق، فكانوا يأمرون الناس بالإيمان ولا يفعلونه.

﴿٧٥﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ
 تُحَرَّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

سبب النزول: نزلت في الأنصار كانوا حلفاء لليهود، وبينهم جوار ورضاعة، وكانوا
 يودون لو أسلموا فأنزل الله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم.....) الآية.

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴿٧٦﴾ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ
 اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾

سبب التزول: وروى مجاهد عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون: إن عمر هذه الدنيا سبعة الاف سنة، وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما في النار، وإنما هي سبعة أيام معدود، فأنزل الله تعالى: (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة).

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

سبب التزول: روي أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنه ليس نبي من الأنبياء، إلا يأتيه ملك من الملائكة، من عند ربه (بالرسالة وبالوحي)، فمن صاحبك يا محمد حتى نتابعك؟ قال: (جبريل)، قالوا: ذاك الذي يتزل بالحرب وبالقتال، ذاك عدون! لو قلت: ميكائيل الذي يتزل بالقطر بالرحمة تابعتنا!! فأنزل الله تعالى هذه الآية: (قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك... الآية).

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَئِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ

سبب التزول: لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان في المرسلين، قال بعض أحبار اليهود: ألا تعجبون لمحمد بزعم أن سليمان بن داود كان نبيا!! والله ما كان إلا ساحرا، فترلت هذه الآية (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر).

﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾

سبب النزول: روى أن اليهود قالوا: ألا تعجبون لأمر محمد؟! يأمر أصحابه بأمر ثم يتهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً، فما هذا القرآن إلا كلام محمد، يقوله من تلقاء نفسه، يناقض بعضه بعضاً فتزلت الآية: (ما ننسخ من آية).

شَيْءٍ عَلَى النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ وَقَالَتْ

سبب النزول: عن ابن عباس قال: لما قدم أهل نجران من المصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتتهم أحرار اليهود، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رافع بن حرملة: ما أنتم على شيء وكفر بعيسى وبالإنجيل، وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى ومفر بالتوراة فأنزل الله (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) الآية.

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ

سبب النزول: عن البراء قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله تعالى: (قد نرى تقلب وجهك في السماء)

الاية فقال السفهاء من الناس- وهم اليهود- ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟
قال تعالى: (قل لله المشرق والمغرب) إلى اخر الاية.

﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾

سبب النزول: عن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن (الصفا والمروة) فقال: كنا نرى
أههما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله (إن الصفا والمروة
من شعائر الله).^{٤٠}

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

سبب النزول: قال ابن عباس: نزلت هذه الاية في رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف،
ومالك بن الصيف، وحيي بن أخطب كانوا يأخذون من أتباعهم الهدايا، فلما بعث
محمد عليها السلام خافوا انقطاع تلك المنافع فكتموا أمر محمد صلى الله عليه وسلم
والبشارة به، في سبيل حطام الدنيا، فنزلت (إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من
الكتاب....) الاية.

^{٤٠} أخرجه البخاري ٣/٣٩٨ وانظر الدر المنثور للسيوطي ١/١٥٩.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ^ط الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ ^ج فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ
بِإِحْسَانٍ ^ق ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ^ط فَمَنْ آعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾

سبب التزول: عن قتادة أن أهل الجاهلية كان فيهم بغي وطاعة للشيطان، وكان الحي منهم إذا كان فيهم منعة، فقتل عبدهم عبد اخرين، قالوا: لن نقتل به إلا حرا، وإذا قتلت امرأة منهم امرأة من اخرين، قالوا: لن نقتل بها إلا رجلا فأنزل الله (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى).

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ^ط أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ^ط فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

سبب التزول: روى أن بعض الأعراب سألوا النبي صلا الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد أقریب ربنا فنناجیه أم بعید فننادیه؟ فسکت النبي صلی الله علیه وسلم فأنزل الله: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان).

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا
 جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ
 التَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٥٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن
 رَبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِّنْ عَرَفَتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۗ
 وَأذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٥٨﴾

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٩﴾

سبب التزول: أولاً: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان أهل اليمن يحجون ولا
 يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله عز وجل
 (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى).

ثانياً: وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة،
 وكانوا يسمون (الحمس) وسائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله تعالى
 نبيه أن يأتي عرفات، ثم يقف بها ثم يفيض منها، وكانت قريش تفيض ممن جميع من
 المشعر الحرام، فأنزل الله تعالى (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) أي أنزلوا من عرفة،
 وساواوا الناس في حجهم وعبادتهم.

وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا تُحِبُّ

الْفَسَادُ ﴿٢٥﴾

سبب التزول: روى أن الأحنس بن شريق أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأظهر له الإسلام وحلف أنه يحبه، وكان منافقا حسن العالانية خبيث الباطن، ثم خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم فمر بزرع لقوم من المسلمين، وحمر فأحرق الزرع وقتل الحمر، فأنزل الله تعالى فيه هذه الايات (ومن الناس من يعجبك قوله....) الاية إلى قوله: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل....) الاية.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٧﴾

سبب التزول: وروي أن صهيبا الرومي لما أراد الهجرة إلى المدينة المنورة لحقة نفر من قريش من المشركين ليردوه، فترل عن راحلته ونثر ما في كنانته وأخذ قوسه ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أركم رجلا، وأيم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم، قالوا: جئتنا صعلوكا لا تملك شيئا وأنت الان ذو مال كثير!! فقال: رأيتم إن دللتكم على ما لي تخلون سييلي؟ قالوا: نعم، فذلهم على ماله بمكة، فلما قدم المدينة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: (ريح البيع صهيب، ربح البيع صهيب) وأنزل الله عز وجل فيه (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله...) الاية.

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
 وَكُفْرٌ بِهِ ۖ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۗ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ
 مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا ۚ وَمَنْ
 يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ ۖ فَيُمَتِّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٧﴾

سبب النزول: بعث رسول الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية ليرصدوا
 عيرا لقريش فيها " عمرو بن الحضرمي " وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير
 بما فيها من تجارة، وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونهم من جمادى الآخرة،
 فقالت قريش: قد اسحبل محمد الشهر الحرام، شهرا يأمن فيه الخائف، ويتفرق فيه
 الناس إلى معاشهم وعظم ذلك على المسلمين، فترلت (يسألونك عن الشهر الحرام
 قتال فيه.....) الآية.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ
 وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
 اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٨﴾

سبب النزول: جاء جماعة من الأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقالوا يا رسول الله: أفئتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة
 للمال؟ فأنزل الله (يسألونك عن الخمر والميسر...) الآية.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ
فَإِحْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿٣١﴾

سبب النزول: عن ابن عباس قال: لما أنزل الله (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن) انطلق من كان عنده مال يتيم، فعزل طعامه من طعامه وشرابه، فجعل يفضل الشيء من طعامه، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، واشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير...) الآية.

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٢﴾

سبب النزول: عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت فلم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيت، فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فأنزل الله عز وجل (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى...) الآية.

الطَّلِقُ مَرَّتَانٍ ۚ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۚ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا

حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ
يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٣﴾

سبب التزول: كان الرجل في الجاهلية يطلق امرأته ما شاء من الطلاق، ثم يراجعها قبل أن تنقضي عدتها، ولو طلقها ألف مرة، كان له الحق في مراجعتها، فعمد رجل لامرأته فقال لها: لا اويك ولا أددعك تحلين، قالت: وكيف؟ قال: أطلقك فإذا دنا مضي عدتك راجعتك، فشمت المرأة أمرها للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (الطلاق مرتان...) الآية.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا
بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَلِكَُم
أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

سبب التزول: روي أن " معقل بن يسار " زوج أخته رجلا من المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ما كات، ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويته، ثم خطبها مع الخطاب فقال له: يا لكع "أي يا لئيم" اكرمتك بها وزوجتك فطلقتها!! والله لا يرجع إليك أبدا!! فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إلى بعلمها فأنزل الله (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن...) الآية فلما سمعها معقل قال: سمعها معقل قال: سمعا لربي وطاعة، ثم دعاه فقال: أزوجك وأكرمك، أقول: في هذا غاية الاستجابة والمسارة لأمر الله عز وجل!.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً
وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣﴾

سبب التزول: روي أن رجلا من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا،
ثم طلقها قبل أن يمسها، فترلت الآية (لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسهن)
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "متَّعها ولو بقلنسوتك".

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

سبب التزول: كان لرجل من الأنصار ابنان تنصرا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قدما المدينة في نفر من التجار يحملون الزيت، فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى
تسلما، فترلت (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي). الآية، فبين تعالى أنه لا
يجبر أحد بالكره على الإيمان، لأن الحق واضح.

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدُنُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

سبب التزول: عن سعيد بن جبیر أن المسلمين كانوا يتصدقون على فقراء أهل الذمة، فلما كثر فقراء المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تتصدقوا إلا على أهل دينكم" فتزلت هذه الآية (ليس عليك هداهم) مبيحة للصدقة على من ليس من دين الإسلام.

﴿ مُؤْمِنِينَ كُنْتُمْ إِنْ رَبَّوْا مِنْ يَقِي مَا وَذَرُوا اللَّهَ اتَّقُوا الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَتَأْتِيهَا

سبب التزول: كان لبني (عمرو من ثقيف) ديون ربا على بني النغيرة فلما حل الأجل أرادوا أن يتقاضوا الربا منهم، فتزلت الآية (يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وذرروا ما يقي من الربا إن كنتم مؤمنين).

﴿ وَاللَّهُ بِهِ يُحَاسِبُكُمْ تُخْفُوهُ وَأَنْفُسِكُمْ فِي مَا تَبَدُّوا وَإِنَّ الْأَرْضَ فِي وَمَا السَّمَوَاتِ فِي مَا لِلَّهِ

﴿ قَدِيرٌ شَيْءٍ كُلِّ عَلَى وَاللَّهُ يَشَاءُ مَنْ وَيُعَذِّبُ يَشَاءُ لِمَنْ فَيَغْفِرُ

سبب النزول: لما نزل قوله تعالى (وإن تبدوا ما في أنفسكم أويحاسبكم به الله) الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله فقالوا: كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها!!^{٤١}

٣. القصص في سورة البقرة

القصة الأولى: بيان الأخلاق من قصة ادم وقابل وهابيل

ان الأخلاق أربعة أنواع لاتزاييل النفس بعد مفاوقنها البدن، وهذه الأربعة هي: الأخلاق تامكتسية المتادة. العلوم التعليمية. الاراء المعتقدة. الأعمال المكتسبة بالاختيار والارادة.

والأولى نتها وهي: الأخلاق المكتسبة تنقسم الى قسمين: رديئة وحميدة، ةالأخلاق الرديئة جميعها ترجع إلى ثلاثة أصول. كبرا بلبس، وحرص ادم، وحسد قابيل، وهذه الحصال الثلاث أمهات جميع الخبائث والمعاصي، وبيانه:

أن الكبر من أشكاله ومشابهاته: عجب المرء برأى نفسه، والأنفة عن قبول الحق، وترك الاقرار به، والتعدى والخروج عن الحد والظلم والجور عند القدرة في الحكومة، وترك الأنصاف في المعاملة، والتهاون في الواجبات، والأعراض عن اللوازم من الحقوق والقحة والصلابة في الوجه في دفع الحق والفحش والسفاهة في الخطاب والجدال واللجاج في الخصومات والحزن والترق في العشرة والحدة، والبطش في التصرف، والغش والمكر في المعاملة، والإسصغار والإحتقار لأبناء الجنس، والإستطالة

^{٤١} الشيخ محمد علي الصابوني، صفة التفاسير، للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا-بيروت-لبنان. ٢٠١١م.ص: ١٥١

عليهم، والإفتخار في الأمور بما خص من المواهب، والأنكار لفضل من فضل عليه، والبغى والعدوان وماشابه ذلك. هذا باب الكبر.

أما الحرص وهو الخصلة الثانية: فمن أشكاله وأمثاله ومشابهاته: الطمع الكاذب، وشدة الرغبة، والطلب الحثيث، والعجلة في السعى، وتعب البدن، وعناء النفس، وكدّ الروح في الجمع، والأدحار، والاستكثار، والاختكار من خوف الفقر، والبخل، والمتع، والشح، واللؤم، والنكد وما يتبعها من الشؤم والخذلان، وقلة الانتفاع بالموجود، والحرمان للمدخور، والمضايقة في المعاملة، والمناقشة في الحساب، وسوء الظن بالأمين، والتهمة للثقات المؤمنين، والخيانة في الأمانة، وطلب الحرام، وهتك الحرم، وارتكاب الفحشاء، واضمار القلب على الاصرار، واطهار الكذب، والحيل في أسباب الطلب من البيع والشراء، والغش في الأمتعة، وقلة النصيحة في الصنائع، والحلف واليمين الكاذبة عند الاعتدار في الحكومات، وأقاويل الزور في أسباب الباطلة، والأفعال القبيحة، والأعمال السيئة.

وأنا أقول تعجب: كيف فصل علماؤنا الأخلاق السيئة والأعمال القبيحة، واستنتجوها من كبريا بليس وحرص ادم وحسد قابيل، وانظر كيف كانت قصص القرآن لغايات سامية وعلوم عالية.

هذه قصة ادم كيف تكرر ذكرها في القرآن وجاء في سور مختلفة ليتلوها المسلمون صباحا ومساء، وغاية القصد منها تطهير النفوس، وصفاء القلوب، وسفادة الحياة، واتحاد الأمة بمحاسن الأخلاق. فأما العامة وصغار العلماء والقراء والفقهاء، فانهم لاحظ لهم منها الا أن يسمعوها بصوت حسن ويعربوها، ويعرفوا صرفها

واشتقاقها وما حوته من البلاغة والفصاحة، وأن القرآن معجز للبشر (وانى لعلى ظن أن أمة الإسلام ستنظر عما قريب في مقصود القرآن) من هذه القصص وعجائبها، وما في بطينها من طهارة الأخلاق وجمال السمائل فلعمري لم أر في بلادنا المصرية شركة تجارة رائحة، ولا معاملة صادقة، ولا أمانة في بيع وشراء الا قليلا.^{٤٢}

قصة البقرة المذكورة في القرآن في سورة البقرة

أود هنا أن أذكر قصة البقرة التي مرت في سورة البقرة طبعاً منكم يعرفها و لكن أن وائق أن الأكثر لا يعرفها و قد سألت الكثير من الناس و كانت مفاجئتي أنهم لا يعرفونها و لهذا أطرح القصة و هي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ

^{٤٢}الأستاذ الحكيم الشيخ طنطوى جوهرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص: ٥٧

فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

وتفسير هذه الآيات هو :

كان رجل من بني إسرائيل عقيماً لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثم احتمله ليلاً، فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه حتى تسلحوا وركب بعضهم على بعض. فقال ذوو الرأي منهم والنهي: علام يقتل بعضكم بعضاً، وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى عليه السلام، فذكروا ذلك له، فقال {إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين} قال: فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا، فشدد عليهم حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها، فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدتها ذهباً، فأخذوها بملء جلدتها ذهباً، فذبحوها، فضربوه ببعضها، فقام: فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا — لابن أخيه.

ما يستخلص من الآيات [٦٧-٧٣]:

١- أراد الله تعالى من قصة ذبح البقرة وضرب الميت ببعضها أن يثبت لبني إسرائيل ومن جاء بعدهم من المشككين أن الله {وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [الحج: ٦-٧]. ومن هنا سميت أطول سورة في القرآن باسمها -سورة البقرة- لأن القصة عاجلت

قضية تتعلق بركن أساسي من أركان الإيمان ألا وهو الإيمان باليوم الآخر الذي يسبقه بعث الناس من القبور.

٢- إن بني إسرائيل أكثروا من الأسئلة وشددوا فشدد الله عليهم ولو أنهم امتثلوا الأمر في البداية وذبحوا أية بقرة لأجزأهم. لأجل ذلك حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من كثرة الأسئلة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم" [رواه الشيخان]. وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ... } [المائدة: ١٠١].

والأسئلة المنهي عنها: مثل السؤال عما أخفاه الله عن عباده كالسؤال عن قيام الساعة وعن حقيقة الروح، وعن القضاء والقدر، والسؤال على سبيل التعنت والعبث والاستهزاء، وسؤال المعجزات، والسؤال عن الأغاليط والسؤال عما لا يحتاج إليه، والسؤال عما سكت عنه الشرع من الحلال والحرام وما نحو ذلك. وأما السؤال عما ينفع وينبني عليه عمل فهو أمر مطلوب شرعاً.

٣- كان الأمر بذبح البقرة دون غيرها من الحيوان لأنها من جنس ما عبده وهو العجل ليُهَوَّنَ عندهم أمر تعظيمه.

٤- المال الحلال يبارك الله فيه ولو كان قليلاً، وخير دليل على ذلك هذه القصة فقد كانت تلك البقرة لرجل صالح يتحرى الحلال فعندما حضرته الوفاة ورث زوجته وابنه

الصغير عَجَلَةٌ كانت فيما بعد تلك البقرة الوحيدة التي انطبقت عليها المواصفات، فكان ثمنها كما جاء في الحديث (... حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال: والله لا أنقصها من ملء جلودها ذهباً فأخذوها بملء جلودها ذهباً فذبحوها... " [تفسير ابن كثير ١٠٨/١].

٥- أظهر الله تعالى عظمته لخلقه من خلال هذه الآية، وذلك أنه أحيا ميتاً بجزء من ميت، ولو أنه تعالى أحياه بدون أن يضرب ببعضها لقالوا: لم يكن ميتاً، وإنما كان في حالة إغماءة ثم أفاق. ولكنه تعالى أراد أن يعطيهم درساً وهم الماديون {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ليرى بنو إسرائيل وهم على قيد الحياة كيف يحيي الله الموتى، وليعرفوا أن الإنسان لا يبقى حياً بأسباب الحياة، ولكن بإرادة مسبب الحياة جَلَّ جلاله.^{٤٣}